

تَحْقِيقُ بَعْضِ لَوَائِئِ
النَّبَوِيَّةِ مِنَ الْعُهُودِ
الَّتِي أُعْطَاهَا الرَّسُولُ
لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

للدكتور: عبد الباقي قصص

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم عهداً لبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ممن عرفوا في الإسلام بأهل الذمة . والذمة في اللغة : العهد والأمان ، وأهل الذمة هم أهل الكتاب الذين يعيشون في ديار الإسلام ، الذين التزموا بدفع الجزية . فأصبح لهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم .

ومن العهود التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عهده للنصارى من أهل أيلة (في العقبة) وأهل أذرح أثناء غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد رسول الله ليحسب بين رؤبة وأهل أيلة : سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإن لا يجل أن يمتعوا ما يردونه ، ولا طريقاً يردونه من بر وغيره» (١) .

ومن ذلك أيضاً عهده إلى أهل أذرح وأهل قعنا وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني حبلية وأهل قعنا سلم أنتم ، فإنه أنزل على أنكم راجعون إلى قرينكم . فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون ، ولكم ذمة الله وذمة رسوله ، وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم ، وكل دم تبعتم به لا شريك لكم في قرينكم إلا رسول الله أو رسول رسول الله ، وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان ، وإن رسول الله يخبركم بما يخبر منه نفسه ، فإن لرسول الله بزيئكم ورفيقكم والكراع والحلقة ، إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله ، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت غنيلكم ، وربع ما صادت عرككم . وربع ما اغترلت نساؤكم ، وإنكم قد تزيتم بعد ذلك ، ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة ، فإن سمعتم وأطعتم فعلي رسول الله أن يكرم كرمكم ويعفو عن مشيكم ، ومن اتهم في بني حبلية وأهل قعنا من المسلمين خيراً فهو خير له ، ومن أطلعهم بشراً فهو شر ، وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٢) .

وهذه العبارة زائدة لم ترد في السيرة لأن هشام .

ومن العهود التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب خنبن وأهل خيبر وقعنا بالصوت العربي والخط العبراني .. وهو من الوثائق التي زورها اليهود . وقد كانوا يقدمونه للولاء .. وسوف نتناول هذه الوثيقة بالتحقيق بعد أن نورد نصها بالعربية ..

النص بالعربية :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله خنيا . ولأهل خير والمقا ولذاريهم ما دامت السموات والأرض . سلام أنت إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فإنه أنزل علي الوحي وأنكم راجعون إلى قراكم وسكن دياركم . فارجعوا آمين بأمان الله وأمان رسوله . ولكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم ورفيقكم وكل ما ملكت أيديكم . وليس عليكم أداء جزية . ولا نزع لكم ناصية . ولا بقاء أرضكم حين . ولا تعسدون . ولا تعسرون . ولا تعسرون ولا تظلمون . ولا يجعل أحد عليكم رسماً . ولا تمنعون من لباس المشفقات والملونات ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح ومن قاتلكم قاتلوه . ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية . ومن قتل منكم أحد المسلمين تعمداً فحكمه حكم المسلمين . ولا يفترى عليكم بالفحشاء ولا تتزلون منزلة أهل الذمة . وإن استعنتم ثعانون . وإن استردفتم تُرُفدون . ولا تطالبون ببضاه ولا صفراء . ولا سمراء ولا كرع ولا حلقة . وشدة الكشيذ . ولا لباس المشهرات ولا يقطع لكم شع نعل . ولا تمنعون دخول المساجد ولا تعجبون عن ولاية المسلمين . ولا يولى عليكم وال إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله . ويوسع لخائركم إلا (إلى ؟) أن نصير إلى موضع الحق اليقين . وتكرموا لكم منكم ولكرامة صفة ابنة عمكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن تكرم كرمكم ويعطو عن مسيكم . ومن سافر منكم وهو (فهو ؟) في أمان الله وأمان رسوله . ولا إكراه في الدين . ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصية كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته . تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً . ذلك بفضل مني عليكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب فمن أطلع خنيا وأهل خير والمقا بخير فهو خير له ومن أطلع هم بـ [شر] فهو شر له . ومن قرأ كتابي هذا أو قرأه عليه وغيره أو خالف شيئاً مما فيه فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من [الملائكة] والناس أجمعين . ومن حصني فقد حصم الله . ومن خصم الله فهو في النار وال [.....] وبش المصير .

شهد [ال]له الذي لا إله إلا هو وكفـ [ي] به شهيداً وملائكته [حملة عـ] رشه ومن حضر من المسلمين .

وكتب علي بن أبو [كذا] طالب بخطه . ورسول الله بملي عليه حرفاً حرفاً . يوم الجمعة لثالث [كذا] ليل حلت من رمضان سنة خمس مضت من أجرة . شهد [عـ] بن ياسر وسلمان الفارس [كذا] مولي رسول الله [كذا] وأبوذر العفاري^١ . والذي بشر الشك في هذه الوثيقة ما يأتي .

١ — انها وجدت بالصوت العربي . والحرف العراقي .

٢ — انها اشتملت على امتيازات لم يعطها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من أهل الكتاب منها :

أ — عبارة «وليس عليكم أداء جزية»

ب — عبارة «ولا تجعل أحد عليكم رساء

ج — «ولا تمنعون من ركوب المشقات والملونات . ولا من ركوب الخيل . ولباس أصناف السلاح» .

د — عبارة «ومن قاتلكم قتلوه . ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية»

هـ — عبارة «ولا تمنعون من دخول المساجد»

و — عبارة «ونكرموا لكرامتكم ولكرامة صفة ابنه عمكم»

وتصل المبالغة في التزوير الى هذا الحد فيقولون في الأمان : «ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربح ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قرش وهو خمسون ديناراً ! » والذي يثير الريبة أكثر هو تأكيد لم يرد أبداً في أي معاهدة . وتخويف لا يلبق . وحرص . مع خطأ في التوقيت .

والذي يؤكد وجهة نظرنا عبارة «وهو بري» من ذمّي مع الركاكة التي لا تتصل بأساليب اليهود التي أعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم . فضلاً عن الأخطاء النحوية .

وهناك وثيقة أخرى نعرف عند النصارى بالعهد النبوي . ويقولون إنه كتب أيضا بخط علي بن أبي طالب . ووضع في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة (مهر خطأ آخر في التوقيت يدل على التزوير) وقد حملت منه نسخ الى الأديار . ومن ذلك نسخة كانت محفوظة في دير طور سيناء . فنقلها السلطان سليم العثماني إلى الأستانة في أوائل القرن السادس عشر للميلاد . بعد أن عرضها على مجلس شرعي . حيث نقلت الى التركية دون تحجيص . أما الأصل العربي فقد أعيد للدبر نسخة منه بالعربية وأخرى بالتركية .

وهذا هو نص هذه العهدة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله الى كافة الناس أجمعين رسوله مبشراً ونذيراً ومؤثماً على ودبعة الله في خلقه . لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل . وكان الله عزيزاً حكيماً . كتبه لأهل الملة النصارى ولبن تنحل دين النصرانية . ومن مشارق الأرض ومغاربها وقربها وبعيدها قصبها وعجمها معروفها ومجهولها . جعل لهم عهداً . فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه الى غيره . وتعدى ما أمره . كان لعهد الله ناكثاً . وليثاقه ناقضاً .

ويدينه مسنئراً وللعنة مستوجبا . سلطانا كان أم غيره من المسلمين — وإن احتسب راهب أو سائح من جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رملي أو ربيعة . فإنا نكون من ورائهم أذنب عنهم من كل غيرة لهم بتغسي وأنواعي وأهلي وملقي وأتباعي . لأنهم رعبتي وأهل ذمّي . وأنا أعزل عنهم الأذى في المون . وتصل المبالغة في التزوير الى حد قولهم في هذا الأمان «ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربح ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قرش . وهو خمسون ديناراً ؟

والذي بشر الرية أكثر هو تأكيد لم يرد في أي معاهدة وتغويف . وحرص مع خطأ في التوقيت والأشهاد . والذي يؤكد وجهة نظرنا عبارة «وهو بري» من ذمتي» مع الركافة التي لا تتصل بأساليب العهد التي أعطاهها الرسول صلى الله عليه وسلم . فضلا عن الأخطاء النحوية .

ومما روى عن هذا الأمان أنه حمل في سنة ٤٤٧ هـ إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم علي ابن الحسن وزير القائم فعرضه على الخطيب البغدادي فقال : مزور لأن فيه شهادة سعد . وقد مات قبل فتح خيبر بستين . وفيه شهادة معاوية وإنما أسلم بعد خيبر عام فتح مكة ^(١) .

وقد زاد ابن القيم في افكاره فقال : «لم تكن الحزبية وقت فتح خيبر ولم تنزل آية الحزبية إلا بعد ستين من غزوة خيبر ، ولم تكن على أهل خيبر كلف ولا سخرة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توضع عنهم» . ^(٢)

ويبدو أن هذا النص تعرض للون من التصحيح فكتبوا أسماء عمار ، وسلمان وأبي ذر بدلا من سعد ومعاوية وأبقوا اسم علي ككتاب للصحيفة .

وهناك وثيقة أخرى تعرف عند النصارى بالعهدة البنوية يقولون إنها كتبت بخط علي بن أبي طالب ، ووضعت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة (وهو خطأ آخر في التوقيت يدل على التزوير) وقد حملت منه نسخ إلى الأديار . ومن ذلك نسخة كانت محفوظة في دير طور سيناء ، فتقلها السلطان سليم العثماني إلى الأستانة في أوائل القرن السادس عشر للميلاد . بعد أن عرضها على مجلس شرعي ، حيث نقلت إلى التركية . لم أعيدت نسخة منها بالعربية وأخرى بالتركية .

وهذا نص هذه الوثيقة ^(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين رسوله مبشرا ونذيرا ومؤمنا على ودبعة الله في خلقه ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما . كتبه لأهل ملة النصارى ، ولئن تحلل دين النصرانية . ومن مشارق الأرض ومغاربها قريبا وبعيدا فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها ، جعل لهم عهدا فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه إلى غيره وتمدى ما أمره ، كان لعهد الله ناكثا وليثاقه ناقضا ، وبدبته مستهزئا ، وللعنة مستوجبا ، سلطانا كان أم غيره من المسلمين — وإن احتسب راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رملي أو بعيه . فانا أكون من ورائهم أذب عنهم من كل غيرة لهم بنفسى وأعواني وأهلي وملتي وأتباعي ، لأنهم رعيي وأهل ذمتي وأنا أعزل عنهم الأذى في المؤمن التي عمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت له نفوسهم ، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك . ولا يغير أسقف من أسقفية . ولا راهب من رهبانته ، ولا حبيس من صومعته . ولا سائح من سياحته . ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم . ويجمعهم . ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين ولا في بناء

كتاب
نسخ
مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

كتاب
نسخ
مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

كتاب
نسخ
مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

كتاب
نسخ
مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

كتاب نسب إليه صلى الله عليه وسلم طيننا ولأهل خيبر ومقنا باللغة العربية
ولكن بالخط العبراني ، وثيقة (١٣٤) .
(مأخوذ من مجلة جوبش كوارترلي رقبو) .

كتاب نسب إليه صلى الله عليه وسلم طيننا ولأهل خيبر ومقنا باللغة العربية ولكن بالخط العبراني
(مأخوذ من مجلة جوبش كوارترلي رقبو) .

منازهم . فمن فعل ذلك فقد نكث عهد الله وعهد رسوله ، ولا يعمل على الرهبان والاساقفة
ولا من يتعبد جزية ولا غرامة ، وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من بر أو بحر في المشرق أو المغرب
والجنوب والشمال ، وهم في ذمتي وميثاقي وأمانتي من كل مكروه ، وكذلك من ينفرد بالعبادة
في الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعون لاخراج ولا عشر . ولا يشاطرون لكونه يرسم
أقواهم ولا يعاونون عند إدارك الغلة ، ولا يلزمون بخروج في حرب وقيام بحرية من اثني عشر
درهما بالحملة في كل عام ، ولا يكلف أحد منهم شططا ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن ،
وتحفظونهم تحت جناح الرحمة ، يكف عنهم أذية المكروه ، وحيثما كانوا وحيثما حلوا — وإن
صارت النصرانية عند المسلمين فعليا برضاها وبمكثها من الصلاة في بيعها ، ولا يحال بينها
وبين هوى دينها ، ومن خان عهد الله واعتمد بالفسد من ذلك عصي ميثاقه ورسوله .

ويعاونون على مرمة بيعهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ، ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يذبون عنهم ، ولا يخالف هذا العهد أبداً الى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا . وهذا العهد لم يرد ذكر له لدى أحد من مؤرخي الفتح أو غيرهم من المؤرخين في العصور الاسلامية الأولى ، ويلاحظ على هذا العهد ما يأتي :

١ — أن العبارات والألفاظ التي وردت به ليست مما كتبت به المعاهدات والمعهود في عصور صدر الإسلام فضلاً عن ركاكتها .

٢ — أنه أخف وطأة من الوثيقة السابقة ، ولم تتجاوز الوصايا الإسلامية الخاصة بأهل الكتاب ، ويبدو أنهم وضعوا هذا العهد من عند أنفسهم لغرض سياسي^(١) .

دكتور عبد الباقي علي قصة

معهد العلوم الاجتماعية

جامعة قسنطينة

الهوامش والمصادر

(١) ابن هشام : سيرة حد ٣ ص ٤٠ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٠ .

(٣) محمد حميد الله : الوثائق التاريخية في العهد النبوي والخلفاء الراشدين ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .

(٤) راجع الهلال العدد ١٥ ، ١٧ من السنة السابعة نقلاً عن كتاب «مشآت سلاطين» لأفريدون بك .

(٥) ابن كثير : البداية حد ١٢ ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٦) ابن القيم : أحكام أهل الذمة ص ٧ ، ٨ .

(٧) راجع تاريخ الفتن الإسلامي لخوري زبدان ص ٤ ص ٣٨١ .